المحاضرة السادسة: الأدب التركي

تمهيد: يرى الباحثون في الثقافة التركية أنّ الأدب التركي ينقسم إلى أربع مراحل:

_ أدب ما قبل دخول الإسلام ويمتد إلى القرن 11م.

_ الأدب التركي الإسلامي وتصل مرحلته إلى منتصف القرن 19م.

_ مرحلة التأثّر بالأدب الغربي ما بين 1910/1850م.

_ الأدب التركي الحديث: وعمره اليوم قرن كامل.

1_ **المرحلة الأولى:** وليس بين أيدي الدّارسين من نصوص أدب هذه المرحلة شيء، وغاية ما وصلنا منه ترجمات صينية من بعض الأشعار والملاحم بعضها بالخطوط **الأورهونية** في الشمال، وهي من أصول آرمية، جرى تفكيك مدلولاتها في نهاية القرن 19م، وهي أكثر النصوص الادبية تمثيلا لتلك المرحلة. والبعض الآخر من نماذج هذا الأدب وأغلبها أدب ديني تطوّر بشرقي تاركستان، مستخدما الكتابة الإيجورية، عندما كان أغلبية الأتراك يتّبعون البوذية، وهي الأبجدية نفسها التي تبنّاها المغول بعد ذلك، وظلّوا يستخدمونها لبعض الوقت بعد الإسلام.

2_ **المرحلة الثانية: الأدب التركي الإسلامي**:انتقل الأتراك إلى الإسلام من خلال بلاد فارس،وتبدأ الثّقافة الأدبية التركية الإسلامية في القرن 11م ضمن قوالب أدبية فارسية، وصار الأدب الفارسي مصدر الإلهام والاقتباس للكتّاب الأتراك، وحلّت العروض الفارسية محلّ التّركية، ووجدت مقتبسات من التراث الإسلامي كالقرآن الكريم، وقصص الأنبياء طريقها إلى الأدب التركي جنبا إلى جنب مع **شاهنامة الفردوسي**.

انتشر الأتراك في أقطار عديدة في وسط وغرب آسيا والشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسّط والبقان، وسادت في هذه المنطقة الجغرافية الواسعة لغة تركية بلهجات عديدة، وآداب شفوية ثرية. أمّا الأدب المكتوب فتطوّر في لهجتين منها: هي التركية الشرقية التي هي امتداد للإيجورية، والتركية الغربية التي تنقسم إلى التركية العثمانية، والتركية الأذربيجانية المنحدرة أصلا من لغة **الأوجوز** الأم:

أ_**أدب تركيا الشرقية:** استُخدمت التركية الشرقية كلغة أدبية من القرن 11م إلى القرن 19م في كل المناطق المتحدّثة بالتركية ماعدا الإمبراطورية العثمانية، وغرب بلاد فارس، وجنوب القرم، وقد حلّت محلّها لغات مكتوبة متطوّرة عن لهجات محلّية، وأولى الأعمال الأدبية التركية في هذه اللغة كتاب **المعرفة التي تجلب السعادة** الذي كتبه مؤلّفه **يوسف** عام 1069م للسلطان **كاشغر**، الذي أنعم على الكاتب بمنصب حاجب البلاط الأول، والكتاب عبارة عن ديوان شعري يحتوي ستة ألاف بيت شعري، موضوعه حوار سياسي بين ثلاثة أشخاص: الوزير وابنه وصديق ابنه عن العلاقة المثلى بين الحكّام والرّعايا، وفيه كذلك مزج بين القيم السياسية الإسلامية وقيم التراث التّركي.

ب_ **أدب تركيا الغربية:** في القرن 13م ترعرعت في **خوارزم** خليط من لغتي الأوجوز والقبشاق، ومن الأعمال الدينية الوفيرة في هذه المرحلة **قصص الأنبياء** لـ**ربجورزي** 1310م، و**نهج الفراديس** لـ**محمود كردر** 1360م وكلاهما كتب بلغة شعبية سهلة، وظلّا محطّ اهتمام القرّاء من عامة الناس حتى نهاية القرن م

3_ **مرحلة جاغطاي:** وهي المرحلة الثالثة من تطور الآداب التركية الشرقية، وبدأ هذا الأدب في العهد التيموري في أسيا الوسطى خلال القرن 15م، وازدهر في بعض المراكز الثقافية مثل: سمرقند، وهرات، بخارى، فرغانة، كاشغر، ثم امتد إلى عموم بلدان العالم التركي والهند، ومن الأسماء البارزة: **ألطف الهراتي، علي شيرنوائي، حسين بيكارا،** وكذلك السلطان **هرات** الذي توافد الشعراء والأدباء والدارسون على بلاطه، ويعدّ الشاعر الكبير **نوائي** أحد أعظم شعراء الأدب التركي الشرقي، وأحد أبرز أعلام المدرسة الأدبية التي رعاها بلاط السلطان؛ حيث تأثّر بقوّة الأدب الفارسي وخاصة الشعراء: **نظامي، وأمير خسرو الدهلوي، وجامي،** وإلى جانب **نوائي** يوجد: **نديم، وفضولي، ويونس عمر**، إضافة إلى السلطان **بابر** الذي اشتهر بمذكراته وقصة حياته الشيقة **بابرنامه،** وكذلك السلطان **أبوالغازي بهادورخان** الذي جال في الأقطار التركية جامعا المعلومات والمصادر التركية والفارسية والمغولية للتاريخ التركي، ومن كتبه **شجرة الأتراك**.

4_ أدب تركيا الحديث: مع نهاية القرن 19م فضّل الكتّاب الكتابة باللهجات المحلية التي تحوّلت تدريجيا إلى لغات أدبية، وقد تأخّر ظهور الآداب التركية المكتوبة في مناطق الشعوب التركية الغربية عن مناطق الشعوب الشرقية لمدة قرنين؛ والسبب في ذلك استخدامهم الفارسية لغة رسمية للمباحث العلمية والتأليف، وسارت آداب الأتراك الغربيين أي مناطق الأناضول وأذربيجان في ثلاثة مسارات:

_ **اتّبع أدب الدواوين** النماذج الفارسية وكان موجّها للخاصة والنّخبة.

_ **الأدب الصوفي** الذي ازدهر مع انتشار الطرق والجماعات الصوفية.

_ **الأدب الشعبي**.

ويحفل تاريخ الأدب الدّيواني التركي في هذه المرحلة بأسماء عدد كبير من الشعراء ممن استفادوا من مواضيع الأدب الفارسي كقصة **يوسف وزليخا** المبنية أساسا على قصة النبي يوسف عليه السلام في القرآن، واستخدموا قصة **مجنون ليلى** وأبرزهم الشاعر **فضولي**. ومن العناوين الأدبية كذلك كتاب **اسكندرنامه** للأديب **أحمدي**، الذي يؤرّخ فيه للدولة العثمانية، كما ظهرت إلى جانب هذه الكتب مقادير هائلة من الكتب الدينية، وتالصوفية، والاخلاقية، والتعليمية. وقد برز بين هذا الكم الهائل عملان واسعا التأثير والانتشار، أحدهما **المولد** لـ**سليمان شلبي** وهو حول السيرة النبوية ولا يزال يقرأ في بعض المناسبات الخاصة، والكتاب الصوفي **محمدية** لمؤلفه **محمد بيجان**. يركّز الأدب التركي الحديث اهتمام هبصورة واسعة على مفهوم القومية والعدالة الاجتماعية وتاريخ الأمة التركية. ويعمد المحدثون

من الكتاب في صياغة بعض أعمالهم الأدبية إلى تضمين قصص ونوادر من الفن المسرحي الشعبي القديم، تتعلق بشخصية خيالية، تجسّد في شكل دمية متحركة يطلق عليها اسم **قره جوز** (العيون السوداء) أو **الأراجوز**، وفي هذه المسرحيات الشعبية يضحك الناس كثيرا لذكاء **قره جوز** الذي يفوق أعداءه في الفصاحة وذلاقة اللسان.

المصادر والمراجع:

- **حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، الدار الثقافية للنشر.**
- **نبيل راغب، معالم الأدب العالمي، دار مصر للطباعة، مكتبة الإسكندرية، مصر.**
- **جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1989.**